التوازن بين القوة و التحكم في غياب البصيرة و حضورها

مقدمة :

يعيش الإنسان و تراود ناظريه مجموعة من الأهداف يكون كلها إذا لم نقل معظمها مشتقاً من حاجاته و إذا ما رجعنا لهرم ((ماسلو)) للحاجات

فإننا نلاحظ ما يلي :

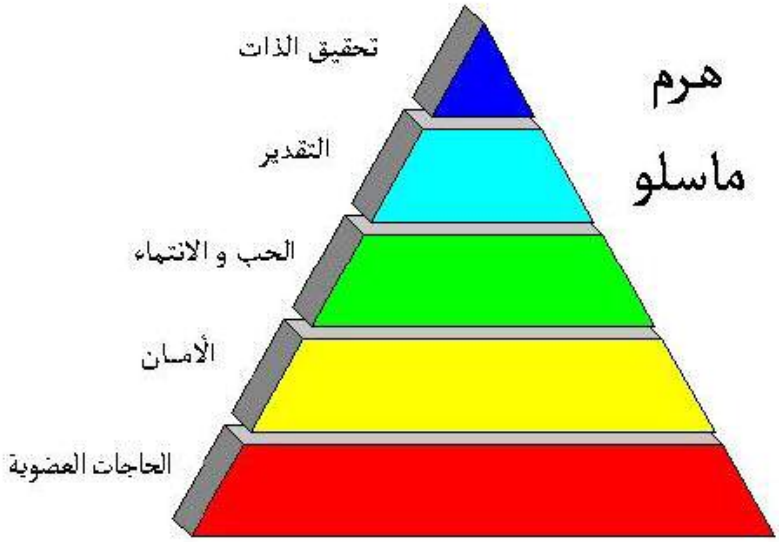

1. الحاجات التي يحتاجها الإنسان لكي يعيش و يستمر نسله هي الحاجات الفيسيولوجية مثل الحاجة لـ : الطعام و الشراب و السكن و اللباس و الجماع و التدفئة ...
2. الأمن .. الذي هو غاية في الأهمية للإنسان ، و من الملفت للإنتباه أنَّ ترتيب هرم ((ماسلو)) جاء متوافقاً مع الترتيب الذي جاء في سورة قريش حيث قال تعالى ((لإيلافِ قريشٍ 1 إلافهم رحلة الشتاء و الصيف 2 فليعبدوا رب هذا البيتِ 3 الذي أطعمهم من جوعٍ و آمنهم من خوف 4)) مما يؤكد صحة النظرية في هذا الجزء .
3. الإنتماء . فالإنتماء مهم جداً للإستقرار النفسي فالإنسان محتاج للانتماء لوطن و لعرق و لدين و لدولة و لقبيلة و لأسرة بل إنَّ بعض الناس ذهب لأبعد من ذلك إذ أنَّ الحاجة للإنتماء جعلتهم من حيث لا يشعرون ينتمون لحزبٍ معين أو طائفة معينة أو حتى نادي كرة قدم .

4. التقدير . فالتقدير و الإحترام مطلب و هدف لكل الناس .

5. تحقيق الذات و يعني وصول الإنسان لأهداف خاصة به هو و لا يشترك معه فيها كل الناس مثل : أنْ يكون الشخص سباحاً ماهراً أو يتمكن من إنجاز عملٍ معين كأن يتمكن من كتابة كتاب أو بناء عيادة خيرية . و تلاحظ هنا أنَّ هذه الأهداف خاص و ليس عامة كما هو الحال في باقي درجات هرم ماسلو . أي كل شخص يختلف عن الثاني .

و على الرغم من أنَّ نظرية ماسلو تدرَّس في الجامعات إلاّ أنها تبقى معيبة و من عيوبها أنّها تفترض عدم إمكانية إشباع حاجة أعلى إلاّ بعد إشباع الحاجة الأدنى و هذا غير صحيح فمن الممكن أنْ لا يشبع الإنسان و لا يرتوي و في نفس الوقت يشعر بالأمان ، و معيبة أيضاً هذه النظرية إذ لم تذكر حاجة الإنسان لعبادة الله فعبادة الله تؤدي إلى الراحة النفسية و الوقاية من عذاب النار و دخول الجنة و لذلك خلقنا و الحاجة لعبادة الله عز و جل أهم من الـ 5 حاجات المذكورة في الهرم .

عموماً أنا لست في موضع تفصيل للنظرية بقدر ما يهمني أنْ ألقي الضوء على تطابق الحاجات و الأهداف .

تشكل الرواسخ الإيمانية و المعتقدات المتحكم الأول في تشكيل سلوكيات الإنسان بصورتها العامة و تأتي الشهوات كمتحكمٍ ثانٍ فيها ثم الفطرة . و هنا يجب أنْ نعلم أنّ المتحكم الأول مكتسب و المتحكم الثاني نفسي شيطاني و الثالث فطري تلقائي جبري . و هذا اشتقاقٌ لكون للسلوك رافدان هما : 1) البيئة 2) الوراثة .

و لتمثيل ما سبق توضيحاً .. تجد شخصاً ما مصاب بالسكر مؤمن و مقتنع أنَّ تناول الأطعمة التي تحتوى على سكريات مضر لصحته و لكنه يشتهي تلك الأطعمة و يتناول القليل منها . المعتقد يميل به لترك تناول السكريات (المتحكم الأول) و النفس و الشيطان (المتحكم الثاني) يميلان به لتناوله .

مما يشير لتواصل الصراع بين الخير و الشر .

أما السلوك الفطري فيكمن في الأمثلة التالية :

1) عندما تتعرض العين للضوء فإنَّ القرنية تضيق لتقليل كمية الضوء الداخلة للعين .

2) عندما تحرق السيجارة يد الإنسان فإنه يسحبها بسرعة .

3) عندما يتعرض الإنسان للحر فإنه يعرق .

أنَّ السلوكيات أعلاه فطرية و تلقائية و جبرية أي لا يستطيع الإنسان التحكم فيها .

<u>الدخول في الموضوع :</u>

القوة و التحكم يقودان للوصول للأهداف التي شرحناها في المقدمة لاسيما تلك الأهداف التي تشكلها المعتقدات و هنا تبرز أهمية التوازن بين القوة و التحكم ، فالقوة بلا تحكم متخبطة و التحكم بلا قوة عجز و إذا زادت القوة على التحكم أدى للإنحراف و إذا زاد التحكم على القوة أدى للبطء .

مثل : شخص اسمه (خالد) و في وسط الخليج العربي و في طراد بمحرك و لديه وقود و يهدف للوصول لدبي ماذا سيفعل ؟ بكل بساطة سيدير المحرك و يتولى الدفة لتوجيه الطراد لهدفه .

تخيلوا الآن أنَّ (خالد) في الحالات المذكورة أدناه ...

الحالة الأولى القوة بلا تحكم : تتمثل في أنَّ الطراد يسير في البحر و الدفة مكسورة و بالتالي الطراد يسير حيث يشاء و قد يؤدي للتصادم مع أي جسم صلب في البحر و بالتالي الغرق و هذا ما يطلق عليه بالتخبط .

الحالة الثانية التحكم بلا قوة : تتمثل في أنَّ الطراد موجود في عرض الخليج و المحرك متعطل و يؤدي ذلك لعجز (خالد) عن الوصول لليابسة . و هذا ما يطلق عليه بالعجز .

الحالة الثالثة ازدياد القوة على التحكم : و تتمثل في أنَّ (خالد) ثمل و يتولى القيادة (يعني سكران) و هذا الأمر من المحتمل جداً أنْ يؤدي بخالد للوصول إلى إيران مثلاً بدلاً من وصوله إلى دبي حيث يهدف . و هذا ما يطلق عليه بالانحراف .

الحالة الرابعة ازدياد التحكم على القوة : و تتمثل الحالة في أنَّ خالد سليم و صحيح العقل و يستطيع التحكم بدفة الطراد و لكن المحرك ضعيف . مما سيؤدي للسير نحو الهدف ببطء شديد و استغراق وقت طويل . و هذا ما يطلق عليه بالأناة .

من المؤكد أنَّ الحالة الرابعة (**الأناة**) أفضل من الثلاث حالات الأولى و هي **التخبط و العجز و الانحراف** و لكن الحالة الخامسة هي أفضل الجميع و هي :

التوازن بين القوة و التحكم الذي هو نصف عنوان مقال اليوم .

لعل المثل الذي أتيت به و هو خالد و الطراد و الخليج العربي و الهدف (دبي) مثلاً بسيطاً و ما هو إلاّ لتوضيح الفكرة و لكن الأمر غاية في المتعة عندما تطبق ذلك على أهدافك النابعة من معتقداتك .

نأتي للجزء الثاني من عنوان المقال و هو ((**في غياب البصيرة و حضورها**)) و قبل البدء علينا تعريف البصيرة و التفريق بينها و بين البصر .

البصر : أحد الحواس الخمس . إذ يجمع البصر المعلومات و يغذي بها العقل الذي يقوم بتحليلها و الاستفادة . و البصر لا يأتي إلاّ بمحيط الإنسان في أقصاه و لا يأتي بما غاب من ماضي أو حاضر أو مستقبل . بخلاف البصيرة .

البصيرة : هي مدى مقدرة الإنسان على الوعي و إدراك الأشياء و الأمور بقلبه لا بصره . أي إعمال العقل في فهم و استنباط الأمور و مجرياتها استقاءً من التجارب السابقة و معطيات الحاضر . و التبصر يقود في الغالب إلى البصيرة .

و هذا يذكرني تماماً بالقصة الشهيرة التي دارت بين معلم غبي و طالب ذكي ... إذْ قال المعلم لتلاميذه (شيءً لم تره لا يمكنك التسليم به فأنت لا تؤمن إلاّ بما تراه بعينك و تسلم به) ، فقام

له أحد التلاميذ الموفقين فقال له (هل رأيت عقلك أو مخك) قال المعلم (لا) رد عليه التلميذ قائلاً (فأنت لا عقل لك) . و أتذكر كذلك مقولة الأعرابي التي تنم عن بصرٍ و بصيرةٍ ثاقبة . إذْ قال : (البعرة تدل على البعير ... و الأثر يدل على المسير ... فسماءٌ ذاتُ أبراج ... و أرضٌ ذاتُ فجاج ... ألا تدل على العليم الخبير ؟) فهنا نجد أنَّ الأعرابي تبصَّر و تأمل في خلق الله جل جلاله و أكد وجوده استنباطاً ... فتلك هي البصيرة .

و لذلك قال الله جلَّ في علاه :

((فَإِنَّها لا تَعْمى الأبْصار ولكن تَعْمى القُلوبُ التي في الصُّدور)) الحج 46

و هنا سنبدأ بأهم جزء بالمقال و هو إعمال البصر و البصيرة في تحديد صحة الأهداف قبل السعي نحوها أو مقاتلة الآخرين في سبيل إقناعهم بصحة و سلامة الأهداف التي هي كما أشرنا تشكلت بفعل المعتقدات و الإيمان بفكر أو قضية أو معتقد.

في أعقاب انهيار الحكم القيصري في روسيا سنة 1917 إثر الثورة البلشفية بقيادة فلاديمير لينين ساد الفكر الاشتراكي الشيوعي في تلك المنطقة و بدأ بالتغلغل في الدول المحيطة على خلفية الكتاب الذي كتبه الألماني (كارل ماركوس) الذي عاش ما بين 1818 و 1883 و الذي عرض فيه الفكر الاشتراكي الشيوعي بأسلوبٍ رائع و مقنع بدت فيه الأفكار باللون الوردي المشرق إذْ نادى الفكر إلى مجانية التعليم و الصحة حتى للعاطلين عن العمل كما تتولى الحكومة توظيف أبنائها و نادى الفكر كذلك بالقضاء على الملكية الخاصة إلاّ في حدود الاحتياجات المعيشيّة بتمدد الملكية الحكومية و قال الكاتب بأنَّ تطبيق الفكر الشيوعي الاشتراكي سيسهم في القضاء على الطبقية في المجتمع و تحقيق المساواة و ما إلى ذلك من أفكار جميلة .

و بعد هدوء عاصفة الحرب العالمية الثانية التي انتهت في سنة 1945 بدأ النظام العالمي الجديد بالتشكل و بدأت السوفيت بقيادة العالم الشيوعي الاشتراكي و محاولة نشر أفكاره لاسيما في الدول المجاورة بينما تولت الولايات المتحدة الأمريكية قيادة العالم الرأسمالي و انقسم العالم إلى المعسكرين و بدأت الحرب الباردة ، بينما فضلت بعض الدول عدم الانجراف لأي من الطرفين و سميت بـ (دول عدم الانحياز) .

كان الروس يقولون أنَّ فكرنا هو الأصح و الأنجع للتطبيق و كان الأميركيون يقولون نفس الكلام عن فكرهم و معتقداتهم و تطور النزاع في بعض مراحله ليأخذ أبعاداً عسكرية في كوبا و في أفغانستان و في فيتنام و غيرها . و أتذكر في هذا الصدد قول الله تعالى :

((كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)) الروم 32

و مرت السنين و بعد أحقابٍ من التطبيق تبين للروس أن معتقدهم و فكرهم الذي كانوا يدافعون عنه بل و خاضوا حروباً لأجل إقناع العالم به و نشره كان فكراً نظرياً تطبيقه لا يوصل للأهداف بل يوصل للتخلف .

و بدون أنْ أدخل في أسباب انهيار الفكر الشيوعي الإشتراكي و الذي عزاه بعض المفكرين في أحد أهم أسبابه إلى افتقار الفكر الشيوعي لروح العمل و الإبداع بانتزاع الملكية الخاصة من المواطن للحكومة فقد أثبتت النتيجة فشل النظرية و لم يكن العيب في التطبيق .

فبعد انتصار الحلفاء على دول المحور في الحرب العالمية الثانية تم اقتسام ألمانيا بين المعسكرين فهيمنت روسيا على ألمانيا الشرقية و هيمنت أمريكا على ألمانيا الغربية ، في بداية الهيمنة كان مستوى ألمانيا الشرقية و الغربية نفس المستوى على جميع الأصعدة و بمرور

السنين تحت المظلتين الشيوعية الإشتراكية و الرأسمالية بدأت النتائج تظهر للناس و بدأ الثلج يذوب و ينكشف ما تحته . ألمانيا الشرقية متخلفة و ألمانيا الغربية متقدمة و الفجوة عميقة و بدأ روّاد الفكر الشيوعي بالتنازل التدريجي عن تمسكهم بالفكر إلى أن هدم جدار برلين الذي كان يقسم العاصمة الألمانية لجزءين شرقي و غربي سنة 1989 في تلك السنة هرب جورباتشوف إلى أمريكا و خلّف وراءه اقتصاداً ضعيفاً ما لبث أن شارف على الإنهيار ، أعلنت روسيا بعد ذلك عن تخليها عن الفكر الشيوعي و اقتناعها بالفكر الرأسمالي و انفتاحها على العالم . لكن بعد ماذا ؟

<u>خلاصة مقالي :</u>

قبل أن يحمل الإنسان السيف و يقاتل عن معتقداته أو يحاول نشرها عليه التبصر و محاولة مراجعة نفسه ... و يسألها : هل أنا على حق أم على باطل ؟ فإذا كانت الدول قد التبس عليها الصح و الخطأ بكل أفرادها و مفكريها و مؤسساتها التعليمية و الإجتماعية و العسكرية فمن الأكثر احتمالاً أنْ يلتبس الصح و الخطأ على الإنسان العادي.

و من نقطة النهاية أعود إلى نقطة البداية .... على الإنسان محاولة صنع التوازن بين القوة و التحكم في حضور البصيرة و ليس غيابها .

أسئل الله العلي القدير لي و لكم البصر و البصيرة و التوفيق و السداد .

أخوكم / بو بطي الأربعاء 2010/8/25 م